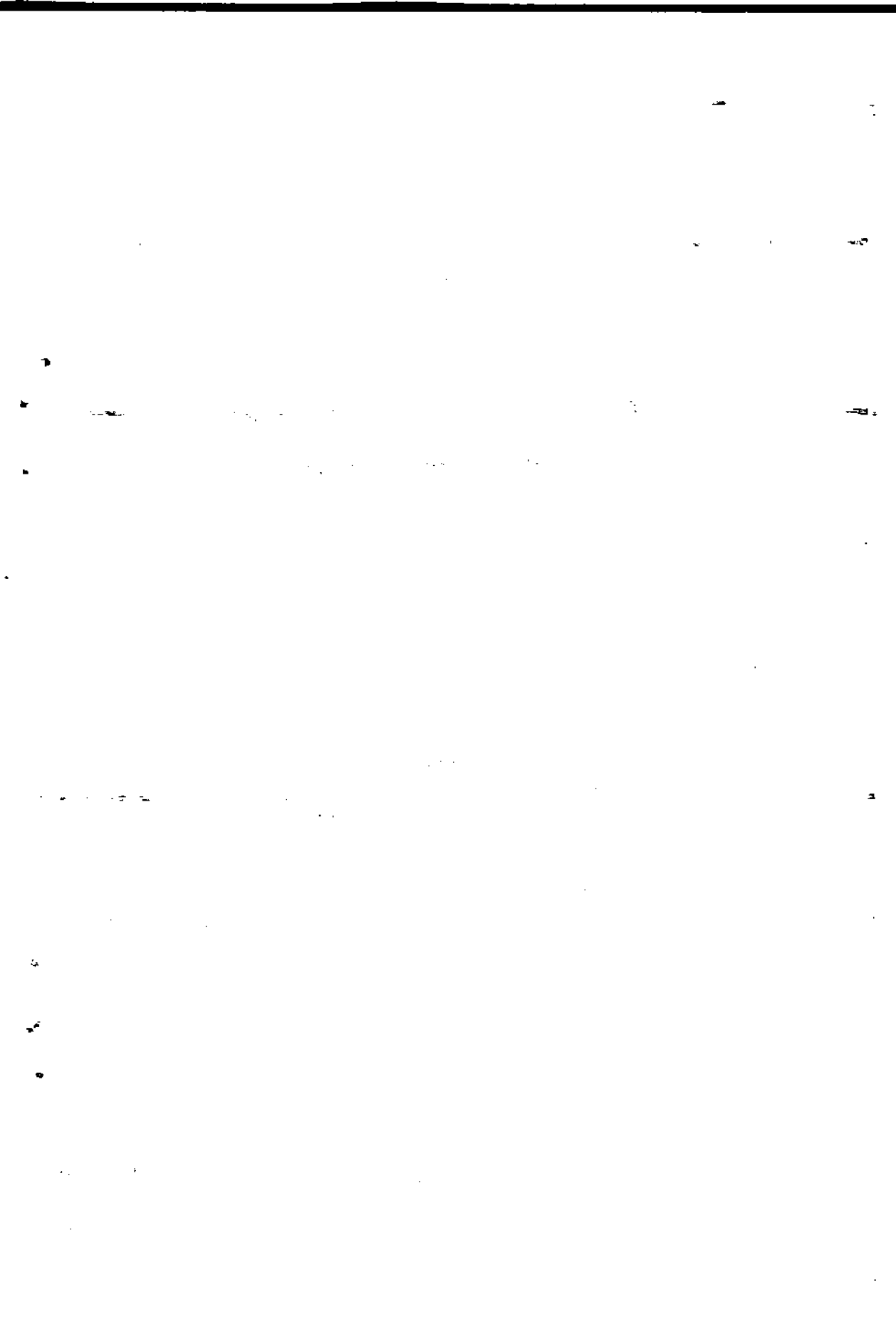


شعر مأساة العمى عند الشعراء المكفوفين
فى القرن الثانى الهجرى

الدكتور

ناصر شاكى سيد محمود

كلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادى



شعر مأساة العمى عند الشعراء المكفوفين فى القرن الثانى الهجرى

د / ناصف شاكر سيد محمود (١)

المقدمة

العكوف على النفس وتحليلها اتجاه جديد ظهر فى شعر القرن الثانى الهجرى، وهذا الاتجاه كان قليل الظهور فى الشعر القديم ، حيث كان الشاعر القديم قلما يلتفت إلى نفسه ويصف مشاعره فى صراحة ووضوح ، ويصوغ إحساساته فى حرارة وصدق ، أما فى القرن الثانى فقد التفت الشعراء إلى أنفسهم يفتشون فى حناياها عن مشاعرهم وأحاسيسهم (١) .

وشعر مأساة العمى من هذا النوع الذى يعكف فيه الشاعر على نفسه محاولاً وصف مشاعره وأحاسيسه وما يعتريه من أسى ومرارة لفقد بصره .

وثمة عوامل كثيرة شجعت على اختيار هذا الموضوع ودراسته لعل أهمها أن هذا الموضوع لم يظفر بدراسة جادة مستقلة كما أنه يطلعنا على الحالة النفسية للشاعر صاحب المأساة بالإضافة إلى ذلك فالبحث يسلط الضوء على حركة التجديد فى الشعر والتى كان

(١) مدرس الأدب العباسى بكلية الآداب بمرماح - جامعة جنوب الوادى .

(١١) أبحاث الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى للدكتور محمد مصطفى حدارة ص ١٧٤ نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م.

صداها قوياً في القرن الثاني الهجري ، ومن الطبيعي أن تنعكس هذه
الحركة على شعر مأساة العمى ، كما نحاول أن نبين في ثنايا هذا
البحث .

شعر مأساة العمى

إن البصر من أعظم النعم التي أنعم بها الخالق سبحانه على عباده، وأى خطب أفدح من أن يفقد الإنسان بصره وينطوى في عالم الظلام الرهيب! فمن تداهمه هذه المأساة تصبح له مصدر تعاسة طوال حياته ، وفي ذلك يقول الدكتور مختار حمزة : "إن العمى سواء أكان عارضاً أم قبل الولادة يكون مصدراً للتعاسة " (١) .

ويعلق الدكتور طه حسين على هذه المأساة فيقول واصفاً أثرها على الإنسان : "وأثر هذه المصيبة من الحزن عظيم ، يلزم صاحبه في جميع أطوار حياته لا يفارقه ولا يبعده ، ذلك لأنه يذكر بصره كلما عرضت له حاجة وكلما ناله من الناس خير أو شر بل كلما لقيهم في مجتمع خاص أو عام ، فما يزال يؤلمه ويحزنه إلى أن يفقد الشعور وتصيبه البلادة المطلقة - يعنى الهم الثقيل والحزن العميق - " (٢) .

ولا شك أن فقد البصر يؤثر في نفسية صاحبه ويخلق له مشكلة ترمى به في حومة من ركाम العقد النفسية (٣) .

(١) بيكولوجية المرضى وذوى العاهات للدكتور مختار حمزة ص ١٢٩ - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٩م.

(٢) تجديد ذكرى أبي العلاء المعري للدكتور طه حسين ص ١١٩ - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١م.

(٣) الشعر والشعراء في العصر العباسي للدكتور مصطفى الشكعة ص ١٠٣ - ط دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م.

ولقد انطلق الشعراء في القرن الثاني الهجري يسجلون مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه هذه المأساة ، ولعل أبا يعقوب الخريمي كان من أوائل الشعراء في هذا القرن الذين صوروا هذه المأساة ، وكان قد عمى بعدما أسن^(١) يقول في مقطوعة صغيرة : (٢)

أصغى إلى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي إِذَا التَّقِيْنَا عَمَّنْ يُحْيِيَنِي
أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْدُونِ
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأَكْثِرُهُ أَنْ أَخْطِئُ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ
لِلَّهِ عَيْتِي الَّتِي فَجِئْتُ بِهَا لَوْ أَنَّ ذَهَبًا بِهَا يُوَاتِنِي
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا تَعْمِيرَ نُوحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ

فالشاعر يصف حاله البائسة لفقده بصره ، تلك المأساة التي ألمت به فجعلته لا يستطيع أن يتعرف على من يحييه إلا عن طريق قائده الذي يخبره ، فهو يريد أن يفصل بين الشريف والدون ولكنه لا يتمكن من ذلك لأنه يعتمد على السمع دون الرؤية ، والسمع غير مأمون وهو يكره أن يخطئ ، ثم يرصد الشاعر مأساته رسداً يبين فيه أن عينه التي فجع بها لا يعادلها شيء في هذه الحياة .

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق مفيد محمد تسيحة ص ٥٧٩ - ط دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ م ، وطبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ٢٩٣ - ٢٩٤ نشر دار المعارف بمصر .

(٢) الورقة لابن الجراح تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج ، ص ١١٢ - ط دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ، وانظر نكت اعيان في نكت اعيان للفنيدى تحقيق أحمد ركني باشا ص ٧١ - ط القاهرة - المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩ هـ .

ويفصف الخريمي في مقطوعة أخرى مأساة عينيه التي أظلمت
عليه حياته ، فيقول : (١)

كفى حزناً أنى لا أزورَ أحبَّتْني من القُربِ إلّا بالتَّكْلِيفِ والجُهدِ
وأنى إذا خُيِّتُ ناجيتُ قائدى ليَعْدِلَنى قَبْلَ الإِجابَةِ فى الرَّدِّ
إذا ما أفاضوا فى الحديثِ تَقاصرتُ بى النفسُ حتّى ما أُحيرُ وما أُنْدى
كأنّى غريبٌ بينهم لستُ مِنْهُمْ فإن لم يَحُولُوا عَن وُقْءٍ ولا عَهْدِ
أُقاسى خُطوباً لا يَقُومُ بِثِقَلِها مِنْ النَّاسِ إلّا كُلُّ ذى مِرَّةٍ جَدِّ

فالشاعر فى هذه المقطوعة التى تقطر ألماً ومرارة يقرر واقعاً
يعيشه من جراء هذه المأساة ، فهو لا يستطيع أن يزور أحبته إلا بمشقة
وجهد ، ولا يستطيع أن يرد على محبيه قبل أن يناجى قائده ، كما أن
الناس إذا أفاضوا فى الحديث منعه نفسه عن مشاركتهم ، ويستمر
الشاعر فى سرد واقعه المرير فيصور حاله بين الناس وكأنه غريب
بينهم ، فقد جعل بينه وبين الناس حاجزاً نفسياً جعله يعتقد أنه ليس
منهم ، ويصل الشاعر إلى قمة الحزن والأسى فى البيت الأخير حين
يقول :

أُقاسى خُطوباً لا يَقُومُ بِثِقَلِها مِنْ النَّاسِ إلّا كُلُّ ذى مِرَّةٍ جَدِّ

ويلاحظ أن لفظة (خطوب) جاءت منكراً لتوحى بكثرتها
وتنوعها وفداحة ما يعانیه الشاعر من الألم والمرارة .

(١) الحيوان للمعاصرين عبد السلام محمد هارون ١٥١/٧ - نشر المجمع العلمى الإسلامى - بيروت سنة

ومن الشعراء الذين ابتلوا بهذه المأساة الشاعر ابن التعاويذي ،
وله مقطوعة يصور فيها مدى معاناته لفقده بصره ، يقول فيها : (١)

أُظِلُّ حَبِيساً فِي قَرَارَةٍ مَنْزَلِي رَهِينٌ أَسَى أُمْنَى عَلَيْهِ وَأَصْبَحُ
مَقَامِي مِنْهُ مَظْلَمُ الْجَوِّ قَاتِمٌ وَمَسْعَايُ ضِنَاكَ وَهُوَ ضَحِيانٌ أَفِيحُ
أَقَادُ بِهِ قَوْدَ الْجَنِيْبَةِ مُسْمِحاً وَمَا كُنْتُ لَوْلَا غَدْرَةُ الدَّهْرِ أَسْمَحُ
كَأَنِّي مَيِّتٌ لَا ضَرِيحَ لَجَنْبِهِ وَمَا كُلُّ مَيِّتٍ إِلَّا بِكَ يَضْرَحُ

فقد وضع نفسه في سجن اختياري في منزله بعد أن تمكن الأسى
منه فأصبح أسيراً له ، ويصف حاله في هذا المنزل بأن مقامه فيه
أصبح مظلماً برغم أنه أفيح ، وقوله (أقاد) دليل على أنه فقد القدرة
على الحركة مستقلاً بعد فقد بصره ، وهو تمهيد للبيت الأخير الذي
يذكر فيه أنه أصبح كالـميت وإن كان لا ضريح له ، فليس كل ميت له
ضريح .

وعلى هذه الشاكلة من الأسى والمرارة نجد له مقطوعة أخرى
يندب فيها فقد بصره ومداومة الشيب له والتي يقول فيها : (٢)

حَالَانِ مَسْتَبْنَى الْحَوَادِ ثُ مِنْهُمَا بِفَجْيعَتَيْنِ
إِظْلَامُ عَيْنٍ فِي ضِيَاءٍ مِنْ مَشِيْبِ سَرْمَدَيْنِ
صَبِيحٌ وَإِمْسَاءٌ مَعاً لَا خِلْفَةَ فَا عَجِبَ لَذَيْنِ

(١) نكت الغميان ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٤٣/١٨ ط القاهرة ، مطبعة عيسى الحنفى .

قَدْ رُحْتُ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّوءِ رَأَى صِفَرَ الْمُرَاحَتَيْنِ
أَسْـؤَالَنَ لَا حَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ كَهَمَزَةٍ بَيْنَ بَيْنِ

فالحوادث قد أصابته بفجيعتين كبيرتين ، إحداهما فقد بصره
والأخرى مداهمة الشيب له ، فهو لم يأخذ من الدنيا شيئاً وأصبح فيها
صفر اليدين ، ويصف حاله في هذه الدنيا بأنه لا حي ولا ميت .

ومن هذا الصنف من الشعراء كان الشاعر صالح بن عبد
القدوس ، وله أبيات يصور فيها مأساة عماء ، يقول فيها : (١)

عَزَاكَ أَيُّهَا الْعَيْنُ السُّكُوبُ وَدَمْعُكَ إِنِّهَا نُوبٌ تَنْوُبُ
وَكُنْتُ كَرِيمَتِي وَسِرَاجَ وَجْهِ وَكَانَتْ لِي بِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
فَإِنْ أَكْ قَدْ تَكَلَّفْتُ فِي حَيَاتِي وَفَارَقَنِي بِكَ الْإِلْفُ الْحَبِيبُ
فَكُلُّ قَرِينَةٍ لَا بُدَّ يَوْمًا سَيَشَعَبُ إِلْفَهَا عَنْهَا شَعُوبُ
عَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ فَمَا لِشَيْخٍ ضَرِيرِ الْعَيْنِ فِي الدُّنْيَا نَصِيبُ
يَمُوتُ الْمَرْءُ وَهُوَ يُعَدُّ حَيًّا وَيُخْلَفُ ظَنُّهُ الْأَمَلُ الْكَذُوبُ
يُمَتِّنِي الطَّبِيبُ شِفَاءَ عَيْنِي وَمَا غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَبِيبُ

إن المرارة تعنصر الشاعر لفقده نور عينه ، ويلاحظ من
الأبيات أن عينه كانت نور وجهه غير أنه قد فقدما فتغير حاله بعد فقد
بصره ، فبعد أن كانت الدنيا تطيب له أصبح وحيداً مهموماً حيث فارقه
الإلف الحبيب .

(١) نكت المعيان ص ٧١ - ٧٢ .

ويسترسل في عزاء نفسه فيذكر أنه أصبح شيخاً ضريراً العين ،
 فليس له حظ في هذه الدنيا ، ولم يكتف بذلك فراح يبين أن المرء إذا فقد
 بصره أصبح ميتاً وإن كان الناس يعدوه من الأحياء ، وبعد ذلك يذكر
 أن الطبيب ما زال يمنيّه شفاء عينه إلا أنه يعلم أنه لا شفاء لها إلا إذا
 أراد الله ، ويختم الأبيات بحكمة يبين فيها أن المرء إذا فقد بعض
 أعضائه فعليّه أن يبكي البعض الآخر لأنه لا محالة سيفقده أيضاً عن
 قريب ، يقول :

إذا ما مات بَعْضُكَ فابْكْ بَعْضاً فَإِنَّ الْبَعْضَ مِنْ بَعْضِ قَرِيبٍ

وعلى هذه الشاكلة كانت أشعار الشعراء الذين ابتلوا بفقد البصر ،
 فأبو الشيص يبكي عينيه ويتألم لفقدهما فيقول : (١)

يا نفسُ بكّي بأدمع هُنَّ وواكفِ كالجُمانِ في سَنَنِ
 على دليلى وقائدى ويدي ونور وجهى وسائسِ البدنِ
 أبكى عليها بها مخافة أن تُقرُننى والظلامَ في قرنِ

فالشاعر يرثى عينيه وقد اخترمته المعاناة والآلام من أثر فقد
 لبصره ، فهو يبكي عليهما بكاء حاراً ، وأى مصيبة تستحق البكاء
 أعظم من مصيبة فقد البصر .

وبالرغم من أن معظم الشعراء الذين ابتلوا بهذه المأساة عاشوا
 في معاناة وحسرة وترجموا ذلك في أشعارهم إلا أن هناك شاعراً حاول

^(١) الأغاني لأبي البرج الأصمغاني تقييد مصطفى السعد ١٠١/١٦ ط الخيصة النصرية العام

أن يوهما أن عاهته لم تكن لها أدنى تأثير سلبي على حياته ، بل كانت سبباً في نبوغه وتفوقه ، وهو بشار بن برد الذي يقول : (١)

إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودَ أَعْمَى وَجَدْتَهُ وَجَدْتُكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجُولَا
عَمِيْتُ جَنِينًا وَالدُّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْنَلَا

ويقول أيضاً رابطاً العمى بطلب العلم : (٢)

شِقَاءَ الْعَمَى طَوْلُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا تَمَامُ الْعَمَى طَوْلُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عَنَّاكَ فَإِنَّمَا دُعِيَتْ أَخَا عَقْلٍ لَتَتَّبِعَتْ بِالْعَقْلِ

ولا شك في أن ربط بشار العمى بالذكاء وطلب العلم كان تعويضاً عن النقص ، يقول الدكتور عبد العزيز القوصي : " ... وبدون شك فإن حالة فقد البصر يقابلها بالضرورة نزوع إلى التعويض عن النقص بشكل أو بآخر " (٣) .

وبرغم أن محقق ديوان بشار العلامة ابن عاشور يقول : " ومع أن بشاراً كان أعمى فإنه لم يكن يأتي في شعره بما يناسب العمى ، فإذا

(١) ديوان بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ١٣٦/٤ - ط القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الأول سنة ١٩٥٠ م ، الجزء الثاني سنة ١٩٥٤ م ، الجزء الثالث سنة ١٩٥٧ م ، الجزء الرابع سنة ١٩٦٩ م .

(٢) ديوان بشار ١٤٢/٤ .

(٣) أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي ص ١٣٩ - ١٤٠ - ط القاهرة - مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥ م .

قَرَأَتْ شعره لم تشعر بأنه أعمى وذلك من فرط دقة علمه ووصفه
للأشياء إلا قوله :

فَأَتَيْتُهُنَّ مَعَ الْجَرِيِّ يَفُودُنِي طَرِباً وَيَا لَكَ قَائِداً وَمَقُوداً ^(١).

إلا أن من يطلع على ديوان بشار يجده زاخراً بشدة تأثره بعماءه،
وفى ذلك يقول المازني : " وفيما بقي من شعره وأخباره الدليل على
شدة شعوره بعماء ، فقد كان كثير الذكر له في شعره وكلامه " ^(٢) ومن
ذلك قوله : ^(٣)

وَعَيَّرَنِي الْأَعْدَاءُ وَالْعِيبُ فِيهِمْ وَلَيْسَ بَعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيرُ
إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتَّقَى فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ
رَأَيْتُ الْعَمَى أَجْزَأَ وَذُخْرًا وَعِصْمَةً وَإِنِّي إِلَى تِلْكَ الثَّلَاثِ فَقِيرُ

ويلاحظ من الأبيات السابقة أن بشاراً كان يفخر بعماء مما جعل
أحد الباحثين يقول : " عاش بشار يفخر بهذه المحنة ولا يتردد في
الإعلان عنها والإشارة إليها وهو يمدح أو يهجو أو يتغزل أو يتفكه أو
يتندر ... حيث جعل بشار من مجنته سرّاً لتفوقه وفطنته " ^(٤) .

^(١) ديوان بشار ١١/١ .

^(٢) بشار بن برد لإبراهيم عبد القادر المازني ص ٢٣ - سلسلة أعلام العرب - ط دار إحياء التراث العربية
- عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .

^(٣) ديوان بشار ٥١/٤ .

^(٤) طه حسين بصيراً للدكتور محمد صادق الكاشف ص ٣٠ - مكتبة الحاخني - القاهرة سنة ١٩٨٧ م ،
الطبعة الأولى .

ولم يكن هذا الفخر بعماء إلا بسبب إحساسه بالنقص والضعف ،
هذا الإحساس الذي جعله يتجه إلى اللهو والمجون والتهتك كتعويض
عن النقص .

وقد حاول بشار أن يبين أن العين ليست إلا حاسة يمكن
الاستغناء عنها لأن هناك من الحواس غيرها ما يقوم مقامها، يقول : ^(١)

يا قومُ أُنْزِي لِيغْضِ الْحَيَّ عَاشِقَةً وَالْأُذُنُ تَعْتَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أُخْيَانَا
قَالُوا: بَيْمَن لَا تَرَى تَهْذِي، فَقُلْتُ لَهُمْ الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كُنَا

فقد جعل الأذن تقوم مقام العين في التعرف على الجمال ، وأنها
حاسة لتقدير الجمال لا تقل عن العين .

والذي لا شك فيه أن أثر فقد بشار لبصره كان واضحاً أشد
الوضوح في أشعاره ، يتضح ذلك من مقطوعته التي يقول فيها : ^(٢)

يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا مِنْ حُبٍّ مَنْ أُخْبِنْتُ بِكُرًا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْنِ لَكَ سَقَاتُكَ بِالْعَيْنَيْنِ خُمْرًا
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا قَطَعَ الرِّيَاضُ كُسَيْنَ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سِخْرًا

(١) ديوان بشار ٤/ ١٩٤ .

(٢) الديوان ٤/ ٥٥ .

وَتَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيَّ مِنْ ثِيَابِهَا ذَهَباً وَعُطْراً
وَكَأَنَّهَا بَرْدٌ لِلشَّارِ بِ صَقَاً وَوَلَفَقَ مِنْكَ فِطْراً
جَنَّةٌ إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَجَلُ أَمْرَا

وواضح في هذه القطعة أثر فقدته لبصره فإنه لا يكاد يرتفع عن نطق الشم والسمع واللمس وهو يصف أنفاسها وما تنتشره من طيب كطيب الرياض ، ويصف حديثها وما تنبع فيه من سحر ، ويصور جسمها ذهباً وعطراً ، أما ما ينعم به من جملة ما فشرب بارد سلسيل صاف صائماً يتحرق عطشاً ، وقلما يرتفع في غزله عن الحس والسمع والأذن ^(١) .

ويبدو أن مأساة فقدته لبصره قد تملكته فلم يستطع منها فكاكاً ولم يستطع أن يتوافق ويتعايش معها برغم ما عرف عنه من للنكاه والقطعة ، يقول الدكتور طه حسين : " إن بشارين برد قد أساء احتمال لفته ، كما أساء الانتفاع بنكائه وحدة ذهنه " ^(٢) .

وهكذا يتضح لنا أن مأساة فقد البصر قد جرت على صاحبها للتعاسة والأسى وجعلته يغرق في بحر من الحزن والكآبة . وإذا كان بشار قد حاول إيهامنا بأن هذه المأساة كانت سر تفوقه ونبوغه وأنها لم يكن لها أدنى تأثير سلبي على حياته إلا أن ذلك كان تعويضاً عن

^(١) العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٢١٧ - ط دار المعارف بمصر - الطبعة العاشرة سنة ١٩٦٦م.

^(٢) حديث الأربعاء للدكتور طه حسين ١٨٨/٢ - ط دار المعارف - القاهرة ، الطبعة الحادية عشر سنة ١٩٩٣م.

النفص الذي كان يشعر به ، فأشعاره توضح مقدار المعاناة والمرارة
التي كان يحسها من جراء هذه المأساة .

الخصائص الفنية في شعر مأساة العمى

في دراستنا للخصائص الفنية في شعر مأساة العمى عند الشعراء لمكفوفين في القرن الثاني الهجري سنحاول استخراج بعض الخصائص الفنية والسمات الإبداعية التي تميز بها هذا الشعر، مع ملاحظة أن هذه الخصائص والسمات ليست مقصورة على هذا الشعر وإنما قد يشارك غيره في بعضها (١).

الصدق الفني :

ليس المقصود بالصدق الفني محاولة تتبع الصدق والكذب في الشعر والكشف عنهما ، وإنما المقصود هو مدى صدق الشاعر أو عمه في التعبير عن بيئته وواقع الحياة التي كان يحياها، ويوضح الدكتور محمد النويهي معنى الصدق في الأدب فيقول: "إننا نعني به أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحس بها فعلاً، وإعلان عيده التي اعتقدها، ولسنا نعني به أن يكون نقلاً حرفياً للواقع الخارجي بقى حذاقيره .. فنحن نطلب الصدق في الأدب لأننا نريد من الأدب أن يكون تصويراً أميناً لحقيقة عاطفة الإنسان نحو الوجود وسلوكه الحقيقي في تجارب حياته المختلفة... والصدق الذي نريده من الأديب دائماً أن يقول بلسانه حقيقة ما في قلبه، فإن قالها فهو صادق بمعنى الصدق الأبي وإن خالف كلامه الواقع في بعض الأشياء، وإن لم يقلها فهو

(١) اتجاهات النثر في القرن الثاني الهجري للدكتور يوسف حسين بكدار ص ٣٣٢ - مذكرات معارف -

كاذب بمعنى الكذب الأدبي ، ولا يشفع له أن يطابق كلامه واقع الحال
مطابقة تامة " (١) .

ولقد تنبه النقاد القدامى لذلك فابن رشيق يقول : " ولم يكن
أحدهم يرضى بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون " (٢) .

ويظهر الصدق الفني واضحاً عند كثير من الشعراء المكفوفين
عندما ينعون فقد بصرهم ، فأبو يعقوب الخريمي يعتمد على قائده في
التعرف على محدثه ، يقول : (٣)

أصغى إلى قائدي ليخبرني إذا التقيتَا عمن يخينني
ويقول أيضاً مبيناً مدى حاجته لهذا القائد بعد فقد بصره : (٤)

وأنتي إذا حيئت ناجيت قائدي ليتعلمني قبل الإجابة في الرد
وصالح بن عبد القدوس يقرر واقعاً وهو أن شفاء عينه أصبح
مستحيلاً إلا إذا أراد الله ، برغم أن الطبيب يمني بشفائها ، يقول : (٥)

يُمَنِّينِي الطَّبِيبُ شِفَاءَ عَيْنِي وَمَا غَيْرُ إِلَهَ لَهَا طَبِيبُ

(١) وظيفة الأدب للدكتور محمد التويهي ص ٤٨ - ٥٠ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م .

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ١٩٩/١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد -
مطبعة حجازي - القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ م .

(٣) الورقة لابن الجراح ص ١١٢ .

(٤) الخيران للحافظ ١٥١/٧ .

(٥) نكت اضميان ص ٧١ .

ويظهر الصدق الفنى أيضاً فى شعر ابن التعاويذى عندما يصف
حاله وهو حبيس منزله فيقول : (١)

مُقَامِي مِنْهُ مُظْلِمُ الْجَوِّ قَاتِمٌ وَمَسْعَايُ ضَنْكَ وَهُوَ ضَحِيانٌ أَفِيحُ

أما عدم الصدق الفنى فنجدّه واضحاً وبكثرة فى شعر بشار بن برد
الذى نسي أو تناسى أنه أعمى ، فنجدّه يقول فى صاحبه عبدة : (٢)

أَنْتِ الَّتِي تَشْتَفِي عَيْنِي بِرُؤْيَيْهَا وَهُنَّ عِنْدِي كَمَا غَيْرُ مَشْرُوبٍ
وقوله فى عبدة أيضاً : (٣)

تَأْنِي نَظْرِي فِيهَا مَلِيًّا وَتَأْنِيَتْ
وقوله أيضاً : (٤)

ذَهَبْتَ نَظْرِي إِلَى إِلَيْكَ بِنَفْسِي وَنَمَا الْحُبُّ عَنْ قَوَادِي فَبَاحَا
أَسْلَمْتَنِي عَيْنِي إِلَيْكَ وَقَالَتْ : لَوْ تَعَزَّى بِالصَّبْرِ عَنْكَ اسْتَرَّاحَا

فهل توخى بشار عناصر الصدق الفنى ، وهل كان صادقاً مع واقعه
لما نكر أن عينه تشتفى بروية عبدة ، وأن نظره تأنى منها ملياً ، وأن نظره
ذهبت إليها ، وعينه أسلمته إليها ؟ هل كان صادقاً فى هذه الأقوال وهو الذى
لم ير الدنيا قط ؟

(١) نكت المبيان ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) ديوان بشار ١ / ١٩٧ .

(٣) للديوان ٢ / ٢٨ .

(٤) الديوان ٢ / ١٢٦ .

ومن مظاهر عدم الصدق للفنى أيضاً عند بشار قوله فى إحدى
صاحباته :^(١)

فَلَيْتِ كُلَّمَا لَسْتُكَ إِلَى وَجْهِكَ صَوَّرْتَهُ
لُتَجِدَ شَبَّهًا مِنْكَ عَلَى التُّرْبِ إِذَا لَسْتُكَ
فِيَا وَاهَا لَهُ وَاللَّهُ وَجَدَ هَذَا حِينَ شَبَّهْتَهُ
حَبِيبٌ خَطَّ فِي التُّرْبِ وَمَا زَارَ وَمَا زَرْتَهُ

ففى هذه الأبيات يحاول بشار الإيهام مرتين ، الأولى أنه رآها
ويعرف وجهها معرفة جيدة ، والثانية أنه يرسم لوجهها صورة فى
التراب لملمه كلما يشتاق إليها ويتذكرها ، وهو ليس بصحيح فنياً إلا أن
يكون صنيعة إغراقاً فى الخيال وجنوحاً فى الوهم ^(٢) .

اللغة والموسيقى :

إن التطور المذهل للحياة الاجتماعية والعقلية فى القرن الثانى
الهجرى بفعل مؤثرات مختلفة ^(٣) ، أفرد لها الباحثون دراسات عديدة ،
قاد الشعراء إلى تحول واضح فى لغتهم الشعرية حيث هجروا الألفاظ
الوعرة القديمة واتجهوا بشعرهم نحو اللين والسهولة " ذلك أن التطور
الاجتماعى وتطور أحاسيس الشعراء أنفسهم والذوق العام فى العصر
هو الذى أدى إلى هذه الرقة والبعد عن الوحشى والغريب " ^(٤) .

^(١) الديوان ١٦/٢ .

^(٢) اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص ٣٤٢ .

^(٣) وهى مؤثرات سياسية واقتصادية وسكانية وحضارية وزمانية ومكانية .

^(٤) محاضرات فى الشعر العباسى للذكور على أحمد الزبيدى ص ٢٧ - مطبع على الآلة الكاتبة - بغداد .

ولم يكن شعراء مأساة العمى بمعزل عما أصاب لغة الشعر من
تطور وتجديد ، فقد اتجه الشعراء إلى تخير لغة عذبة رقيقة لا توعز
فينا للتعبير عما يدور في نفوسهم من إحساس بالآسى والمرارة لفقد
بصرهم ، يتضح ذلك من قول أبى يعقوب الخريمى فى تصوير مأساة
عماه : (١)

أَصْغَى إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي إِذَا التَّقَيْتَا عَمَّنْ يُخَيِّرُنِي
أُرِيدُ أَنْ أُعْذِلَ السَّلَامَ وَأَنْ أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالذُّونِ
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأَكْثِرُهُ أَنْ أَخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ

ويلاحظ أن الألفاظ سهلة واضحة وأن الشاعر هجر الألفاظ
الجزلة الوعرة الرصينة ليتلاءم مع لغة عصره .

ومن الأمثلة على اللغة السهلة أيضاً قول بشار بن برد : (٢)

يَا قَوْمُ أَنْزِي لِيُغَضِّ الْحَىْ عَاشِقَةً وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَخْيَانَا
قَالُوا: بَعْدَ لَا تَرَى تَهْذِي، فَقُلْتُ لَهُمْ الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا

ويلاحظ فى الأبيات أن الإيقاع الموسيقى مرتبط باللغة ارتباطاً
كاملاً . ومن ظواهر السهولة الإكثار من العبارات الإنشائية وخاصة
النداء والأمر والاستفهام ، يتضح ذلك فى قول أبى الشيص : (٣)

يَا نَفْسُ بَكِّى بِأَدْمَعِ هُتْنٍ وَوَكَفِ كَالْجُمَانِ فِي سَنَنِ

(١) هورقة ص ١١٢ .

(٢) ديوان بشار ٤/ ١٩٤ .

(٣) الأغاني ٤٠١/ ١٦ .

وقول الخريمى : (١)

كفى حزناً أنى لا أزورَ أحييتى من القرب إلا بالتكلف والجهد

وقول ابن التعاويذى يبكى فقد بصره : (٢)

مالى لا أبكى على فقديهما بكاء خنساء على صخر

وقد لاحظ الصولى هذه السهولة فى الألفاظ عند الشعراء المحدثين حيث قال فى رسالته إلى مزاحم بن فائق : " اعلم أعزك الله أن ألفاظ المحدثين منذ عهد بشار إلى وقتنا هذا كالمثقلة إلى معان أبداع وألفاظ أقرب وكلام أرق " (٣) .

وهكذا يتضح لنا أن شعر مأساة العمى قد واكب التطور والتجديد الذى أصاب لغة الشعر بصفة عامة فى القرن الثانى الهجرى فاتجه إلى السهولة والرفقة وهجر الألفاظ اللوعة القديمة .

أما الموسيقى فنجد أن الشعراء المكفوفين قد نوعوا فى أوزانهم الشعرية وإن كان أكثر شعرهم فى مأساة العمى نظم على الأوزان الطويلة لأن " الشاعر فى حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثيراً المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه " (٤) .

(١) الحيران ١٥١/٧ .

(٢) معجم الأدباء ٢٤٣/١٨ .

(٣) أخبار أبى تمام لأبى بكر عماد بن يحيى الصولى بتحقيق خليل محمود عساكر وزميله ص ١٦ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

(٤) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٧٧ - ط القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢ م .

ومن أمثلة الأوزان الطويلة التي أكثر شعراء مأساة العسى من
نظم شعرهم على موسيقاها " بحر الطويل " مثل مقطوعة الخريمى التي
يقول فيها :^(١)

كفى حزنًا أنى لا أزورَ أحيى من القُربِ إلّا بالتَّكْلِيفِ والجُهدِ

ومقطوعة ابن التعاويذى التي جاء فيها :^(٢)

أظل حبيباً فى قرارة منزلى رهينَ أسى أُنسى عليه وأُصبحُ

وقول بشار أيضاً على موسيقى هذا البحر :^(٣)

يُرْهَنْتَنِي فى حبٍّ عبدة معشرٍ قلوبُهُمُ فيها مخالفةٌ قَلْبِي

ومن الأوزان الطويلة أيضاً التي استخدمها شعراء مأساة العسى " بحر
البسيط " ومنه قول بشار بن برد :^(٤)

يا قومُ أذْنِي لِيُبْعِضِ الحَيَّ عاشقَةً والأذُنُ تُعَشِّقُ قَبْلَ العَيْنِ أحياناً

وقوله أيضاً على موسيقى البحر نفسه :^(٥)

قَالَتْ عُقَيْلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا قَلْبِي فَأَضْحَى بِهِ مِنْ حُبِّهَا أَثْرُ

(١) الديوان ١٥١/٧ .

(٢) نكت المحيان ص ٧٧ .

(٣) ديوان بشار ١٢/٤ .

(٤) الديوان ٢٣٤/٣ .

(٥) الديوان ١٥٩/٣ .

وهناك مقطوعات جاءت على وزن " بحر السريع " مثل
مقطوعة ابن التعاويذي والتي يقول فيها : (١)

لقد رمتنى - رُميت بالأذى - بنكبة قاصمة الظُّهر

وكذلك على وزن " بحر المنسرح " مثل مقطوعة أبي الشَّيْص
التي جاء فيها : (٢)

يا نفسُ بكى بألمع هُتُنٍ وواكفِ كالجُمانِ فى سَنَنِ

وبرغم أن شعراء مأساة العمى قد نظموا معظم شعرهم على
موسيقى الأوزان الطويلة إلا أنهم لم يكونوا بمنأى عن التطوير والتجديد
الذى أصاب موسيقى الشعر فى القرن الثانى الهجرى ، فجاءت بعض
مقطوعاتهم الشعرية على موسيقى الأوزان القصيرة أو المجزوءة ومنها
مقطوعة صالح بن عبد القدوس والتي جاءت على وزن " بحر الوافر "
والتي جاء فيها : (٣)

عزاءك أئبها العينُ السَّكوبُ ودمعك إنها نُوبٌ تَنُوبُ

ومقطوعة ابن التعاويذي التي جاءت على وزن "مجزوء الكامل"
والتي يقول فيها : (٤)

حلالان مسْتَنبَى الحواد ثُ منهما بفجيعتين

(١) معجم الأدباء ٢٤٢/١٨

(٢) الأغاني ٤٠١/١٦

(٣) نكت الطيِّبان ص ٧١

(٤) معجم الأدباء ٢٤٣/١٨

وهكذا نجد شعراء مأساة العمى قد نوعوا في أوزانهم الشعرية ولم يحاولوا تثبيت لونهم الشعري على وزن من الأوزان لأن " محاولة تثبيت لون واحد لوزن من الأوزان جهد ضائع ، لأن الوزن وحده لا يمكن أن يضيف على الشعر لوناً معيناً ولكن جميع عناصر الشكل تتحد في إعطاء القصيدة لوناً سواء أكان هذا اللون صارخاً تشيع فيه الفتنة ويتأجج بالشهوة ، أم كان هادئاً يتسم بالجد والرزانة " (١) .

بالإضافة إلى ذلك اهتم شعراء مأساة العمى بألوان البديع التي ينشأ عن معظمها إيقاع داخلي مثل الجناس والطباق والتكرار .

ويتضح الجناس بين (نوب) و (تنوب) في قول صالح بن عبد القحوس : (٢)

عَزَاكَ أَيُّهَا الْعَيْنُ السَّكُوبُ ودمعك إنها نُوبٌ تَنُوبُ

وبين (المراء) و (المروءة) في قول بشار بن برد : (٣)

إِذَا أَبْصَرُ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتَّقَى فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ بِضَيْرٍ

أما الطباق فقد اهتم به شعراء مأساة العمى ، فنجد الخريمي يطابق بين (الشريف) و (الدون) في قوله : (٤)

أُرِيدُ أَنْ أُعْذِلَ السَّلَامَ وَأَنْ أَفْصَلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْدُّونِ

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٩ - ٥٤٠ .

(٢) نكت اخميان ص ٧١

(٣) ديوان بشار ٥١/٤ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٧٩

وأيضاً ابن التعاويذي يطابق بين (إظلام) و (ضياء) في قوله : (١)

إِظْلَامُ عَيْنٍ فِي ضِيَاءٍ مِنْ مَشِيدٍ سَرْمَدِينَ

وواضح أن الطباق يظهر المعنى ويقويه ويزيد الصورة جمالاً . أما التكرار فيتضح في قول صالح بن عبد القدوس : (٢)

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَبَكَ بَعْضاً فَإِنَّ الْبَعْضَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ

وبلاحظ أن الشاعر كرر لفظة (البعض) أربع مرات في بيت واحد . ومثله قول بشار بن برد : (٣)

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَى عَاشِقَةٌ وَالْأَذْنُ تَعْتَنِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
قَالُوا بَمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي ، فَقُلْتُ لَهُمْ الْأَذْنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا

فقد كرر (الأذن) ثلاث مرات في البيتين . ومثله قول بشار أيضاً يكرر لفظة (القلب) أربع مرات في بيتين وذلك في قوله : (٤)

يُزْهَدُنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعْشَرٌ قَلُوبُهُمْ فِيهَا مُخَالَفَةٌ قَلْبِي
فَقُلْتُ دَعُوا قَلْبِي بِمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يَبْصُرُ ذُو اللَّبِّ

(١) معجم الأدباء ٢٤٣/٨ .

(٢) نكت المعبان ص ٧٢ .

(٣) ديوان بشار ١٩٤/٤ .

(٤) الديوان ١٢/٤ .

وواضح أن تكرار بشار للفظتي (الأذن) و (القلب) كان مقصوداً
ويدل على مدى إحساس الشاعر بفقده لبصره ، حتى وإن زعم أن
الأذن والقلب قد يحل أي منهما محل البصر .

وهناك نوع آخر من البديع استخدمه شعراء مأساة العمى وهو
رد العجز إلى الصدر، يتضح ذلك في قول صالح بن عبد القدوس : (١)

يُمَنِّينِي الطَّبِيبُ شِفَاءَ عَيْنِي وَمَا غَيْرُ إِلَهٍ لَهَا طَبِيبُ

وقول ابن التعاويذي : (٢)

كَأَنِّي مَيِّتٌ لَا ضَرِيحَ لَجَنَبِهِ وَمَا كُلُّ مَيِّتٍ إِلَّا بِكَ يَضْرَحُ

وهكذا يتضح لنا أن شعراء مأساة العمى قد نوعوا في أوزانهم
الشعرية ، وإن كان معظم شعرهم قد اتجه إلى الأوزان الطويلة إلا أنهم لم
يهملوا الأوزان القصيرة تمشياً مع حركة التجديد والتطور التي سادت في هذا
القرن ، كما أنهم اهتموا بألوان البديع التي ينشأ عن معظمها إيقاع داخلي .

الصورة والبناء الفني :

برع شعراء مأساة العمى في فن التصوير الشعري ، وكان التشبيه
والاستعارة ركنين أساسيين اعتمد عليهما الشعراء العميان في إبراز صورهم،
من ذلك قول الخريمي : (٣)

(١) نكت احميان ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٣) الحيران ١٥١/٧ .

أَقَاسِي خُطُوبًا لَا يَقُومُ بِثَقْلِهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي مِرَّةٍ جَلْدُ
فَالْخَرِيمِي يَشْبَهُ الْخُطُوبَ بِحَمَلٍ ثَقِيلٍ يَجِدُ مَشَقَّةَ وَمَعَانَاةَ فِي حَمَلِهِ ،
ومثل ذلك قول صالح بن عبد القدوس : (١)

وَكُنْتُ كَرِيمَتِي ، وَسِرَاجَ وَجْهِهِ وَكَانَتْ لِي بِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
حيث شبه عينه قبل أن يفقدها بأنها كانت سراج وجهه ، وهي
صورة جديدة غير مألوفة في الشعر العربي القديم . ومثل قول ابن
التعاويذي : (٢)

جَوْهَرَةٌ كُنْتُ ضَمِينًا بِهَا نَفِيسَةُ الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ
حيث شبه عينه بالجوهرة النفسية القيمة والقدر ، وهي أيضاً من
الصور الجديدة التي استحدثها شعراء مأساة العمى .

ومن الصور التي اهتم بها شعراء مأساة العمى ما كان يعتمد
على الاستعارة ، مثل قول ابن التعاويذي : (٣)

لَقَدْ رَمَتْنِي - رُمِيتُ بِالْأَذَى - بِنَكْبَةٍ قَاصِمَةِ الظُّهْرِ
فالشاعر يصور الأذى برمح يرمى به . ومثل قول بشار بن
برد : (٤)

إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَّةَ وَالتَّقَى فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ

(١) نكت الميمان ص ٧١ .

(٢) معجم الأدباء ٢٤٢/١٨ .

(٣) المصدر السابق الموضع نفسه .

(٤) ديوان بشار ٥١/٤ .

فقد شبه المروءة وهى أمر معنوى بشئ محسوس يبصر . ولقد توسع شعراء مأساة العمى فى الاستعارة فلجأوا إلى التشخيص والتجسيم ليبتثوا الحياة والحركة فى المعنويات، مثال ذلك قول صالح بن عبد القدوس: (١)

يَمُوتُ الْمَرْءُ وَهُوَ يُعَدُّ حَيًّا وَيُخْلِفُ ظَنُّهُ الْأَمْلُ الْكَذُوبُ

حيث شبه الشاعر الأمل بالإنسان الكذوب . ومثال ذلك قول ابن التعاويذى : (٢)

أَظَلَّ حَبِيسًا فِي قَرَارَةٍ مَنْزَلِي رَهِينَ أَسَى أُمْسَى عَلَيْهِ وَأُصْبِحُ

فقد شبه نفسه برهين لدى الأسى فلا يستطيع منه فكاكاً ، ومثله قول أبى الشَّيْص : (٣)

يَا نَفْسُ بَكِّى بِأَدَمَعِ هُنَّ وَوَ اكْفِ كَالْجُمَانِ فِي سَنَنِ

فالشاعر يجعل من نفسه شخصاً آخر يناديه ويطلب منه أن يبكى على مصيبتيه بأدمع غزيرة .

وهكذا يتضح لنا أن شعراء مأساة العمى اهتموا بالتشبيه والاستعارة وأنهم قد توسعوا فى الاستعارة فلجأوا إلى التشخيص والتجسيم ليبتثوا الحياة والحركة فى المعنويات .

(١) نكت الحميان ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٣) الأغاني ٤٠١/١٦ .

أما عن البناء الفني فنجد أن شعر مأساة العمى قد تحول - في الغالب - من نظام القصيدة إلى المقطوعة ذات الأبيات المحدودة ، وهو أكبر تطور آلت إليه القصيدة في القرن الثاني الهجري .

وقد أرجع الدكتور هدارة اختيار الشعراء للمقطوعات الصغيرة إلى سببين : أولهما طبيعة التطور الحضارى ، فكلما تعقدت أسباب الحضارة وطرائق الحياة تسرب الملل إلى نفوس الناس من الأعمال الأدبية الكبيرة المطولة ولم يعد لديهم لا الاستعداد ولا الوقت فى أن يستمعوا إلى قصائد طويلة كما كان الأقدمون يقفون فى عكاظ والأسواق الأدبية الأخرى ، وثانيهما أن الشاعر أصبح يقتصر على فكرة معينة لا تستغرق فى الغالب أكثر من أبيات معدودة (١) .

ولم تكن المقطوعة مقصورة على فن شعري دون آخر " وإنما كانت ظاهرة فنية فى كثير من الشعر " (٢) .

وبلاحظ أن الوحدة العضوية قد تحققت فى شعر مأساة العمى لأن الوحدة العضوية تكون أكثر وضوحاً فى المقطوعات الشعرية لأنها كما يرى الدكتور عبد القادر القط أشد تماسكاً من القصيدة الطويلة إذ إنها تعبر عن خاطرة أو حالة نفسية لها بعض التميز (٣) .

(١) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) حياة الشعر فى الكوفة حتى نهاية القرن الثانى الهجرى للدكتور يوسف خليف ص ٥٧٦ - ٥٧٧ نشر

دار الكتاب العربى - القاهرة - سنة ١٩٦٨م .

(٣) فى الشعر الإسلامى والأموى للدكتور عبد القادر القط ص ١٣٦ - ط دار النهضة - بيروت سنة

١٩٧٥م .

من ذلك مقطوعة أبى الشيص فى بكاء عينيه والتي يقول فيها : ^(١)

يا نفس بكى بأدمع هُنَّ وواكف كالجُمان فى سَنَنِ
على دليلى وقائدى وىدى ونور وجهى وسائسِ البدنِ
أبكى عليها بها مخافةً أن تَقْرُنَنى والظلامَ فى قَرَنِ

ويلاحظ أن المقطوعة الشعرية تقتصر على موضوع واحد مركز دون مقدمات ، كما أن وحدة المشاعر التى تهيم عليها مترابطة لأنها تخدم غاية واحدة ألا وهى البكاء على فقد البصر .

^(١) الأغامى ٤٠١/١٦

الخاتمة

توصلت في هذا البحث إلى عدة نتائج أجملها في تلك الخاتمة . فقد ذكرت في المقدمة أن شعر مأساة العمى نوع من الشعر الذاتي الذي يعكف فيه الشاعر على نفسه محاولاً وصف مشاعره وأحاسيسه ، وبعد ذلك بينت سبب اختيار هذا البحث ودراسته .

ثم تحدثت عن شعر مأساة العمى في القرن الثاني الهجري فنذكرت أن معظم الشعراء الذين ابتلوا بهذه المأساة عاشوا في معاناة وحسرة وترجموا ذلك في أشعارهم إلا أن هناك شاعراً حاول أن يوهمنا أن عاهته لم تكن لها أدنى تأثير سلبي على حياته بل كانت سبب نبوغه وتفوقه وهو بشار بن برد ، ولكن من خلال دراستنا لأشعاره اتضح لنا أن ذلك كان تعويضاً عن النقص الذي كان يشعر به ، فأشعاره توضح مدى المعاناة والمرارة التي كان يحسها من جراء هذه المأساة .

وبعد ذلك انتقلت إلى دراسة الخصائص الفنية في هذا الشعر فتناولت عدداً من القضايا مثل الصدق الفني ونكرت أن الصدق الفني كان واضحاً عند كثير من الشعراء المكفوفين عندما ينعون فقد بصرهم ، غير أن هناك من الشعراء المكفوفين من لم يلتزم بالصدق الفني مثل بشار بن برد الذي نسي أو تناسى أنه أعمى فنكر أن عينه تشفى برؤية صاحبه وأن نظره تأنى فيها ملياً ، وعينه أسلمته إليها ، وغير ذلك من الأقوال ، وهو الذي لم ير الدنيا قط .

ثم تحدثت عن اللغة فنذكرت أن اللغة في شعر مأساة العمى لم تكن بمعزل عن التطور والتجديد الذي أصاب اللغة في القرن الثاني الهجري ، ثم درست الظواهر اللغوية التي اتسم بها شعر مأساة العمى وكان أبرزها هجر

الألفاظ الوعرة القديمة وتخير لغة سهلة بسيطة للتعبير عن مأساتهم وكذلك الإكثار من استخدام العبارات الإنشائية وخاصة النداء والأمر والاستفهام .

ثم تحدثت عن الموسيقى فنكرت أن الشعراء المكفوفين قد نوعوا في أوزانهم الشعرية ولم يحاولوا تثبيت لونها الشعرى على وزن من الأوزان ، ثم تحدثت عن ألوان البديع في هذا الشعر والذي يسهم في الموسيقى الداخلية كالجناس والطباق والتكرار .

وبعد ذلك أبرزت عناصر الصورة الفنية في هذا الشعر ، وذكرت أن الشعراء العميان قد برعوا في التصوير الشعرى ، وكان التشبيه والاستعارة ركنين أساسيين اعتمدوا عليهما في إبراز صورهم ، وبينت أن هؤلاء الشعراء قد توسعوا في الاستعارة فلجأوا إلى التشخيص والتجسيم ليبتثوا الحياة والحركة في الأشياء المعنوية .

وبعد ذلك تحدثت عن البناء الفنى فى هذا الشعر فذكرت أن شعر مأساة العمى اتجه فى الغالب إلى نظام المقطوعة الشعرية وذلك يرجع إلى سببين : أحدهما طبيعة التطور الحضارى وثانيهما أن هذا الشعر يقتصر فيه الشاعر على موضوع واحد مركز وهو ما أدى - بطبيعة الحال - إلى الوحدة العضوية ، وهو أكبر تطور آلت إليه القصيدة فى القرن الثانى الهجرى .

وبهذا أكون قد أتيت إلى نهاية البحث، والحمد لله أولاً وأخيراً ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعلى الله الاعتماد وهو نعم الوكيل .

المصادر والمراجع

- ١ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى للدكتور محمد مصطفى هدارة ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م .
- ٢ - اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجرى للدكتور يوسف حسين بكار ، ط دار المعارف بمصر ، د . ت .
- ٣ - أخبار أبى تمام لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى بتحقيق خليل محمود عساكر وزميليه - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧م .
- ٤ - أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصى - ط القاهرة - مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م الطبعة الخامسة .
- ٥ - الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٩٣م .
- ٦ - بشار بن برد لإبراهيم عبد القادر المازنى - سلسلة أعلام العرب - ط دار إحياء التراث العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د . ت .
- ٧ - تجديد نكرى أبى العلاء المعرى للدكتور طه حسين - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١م .
- ٨ - حديث الأربعاء للدكتور طه حسين - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٣م ، الطبعة الحادية عشرة .
- ٩ - حياة الشعر فى الكوفة حتى نهاية القرن الثانى الهجرى للدكتور يوسف خليل - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة سنة ١٩٦٨م .

- ١٠- الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون - نشر المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت سنة ١٩٦٩ م .
- ١١- ديوان بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور - ط القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الأول سنة ١٩٥٠ م ، الجزء الثانى سنة ١٩٥٤ م ، الجزء الثالث سنة ١٩٥٧ م ، الجزء الرابع سنة ١٩٦٦ م .
- ١٢- سيكولوجية المرضى ونوى العاهات للدكتور مختار حمزة - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
- ١٣- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق مفيد محمد قميحة - ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٥ م ، الطبعة الثانية .
- ١٤- الشعر والشعراء فى العصر العباسى للدكتور مصطفى الشكعة - ط دار العلم للملايين - بيروت، سنة ١٩٧٣ م، الطبعة الأولى .
- ١٥- طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، نشر دار المعارف بمصر ، د . ت .
- ١٦- طه حسين بصيرا للدكتور محمد صادق الكاشف-مكتبة الخانجي- القاهرة سنة ١٩٨٧ م ، سنة ١٤٠٧ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٧- العصر العباسى الأول للدكتور شوقي ضيف - ط دار المعارف بمصر - سنة ١٩٦٦ م ، الطبعة العاشرة .
- ١٨- العمدة فى صناعة الشعر ونفده لابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد - مطبعة حجازى بالقاهرة - سنة ١٩٣٤ ، الطبعة الأولى .

- ١٩- فى الشعر الإسلامى والأمرى للدكتور عبد القادر القط - ط دار النهضة - بيروت سنة ١٩٧٥م .
- ٢٠- محاضرات فى الشعر العباسى للدكتور على أحمد الزبيدى - مطبوع على الآلة الكاتبة - بغداد ، د . ت .
- ٢١- معجم الأدباء لياقوت الحموى - ط القاهرة - مطبعة عيسى الحلبي ، د . ت .
- ٢٢- موسيقى الشعر العربى للدكتور إبراهيم أنيس - ط القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢م الطبعة الرابعة .
- ٢٣- نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى تحقيق أحمد زكى باشا - القاهرة - المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩هـ .
- ٢٤- الورقة لابن الجراح تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج - ط دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ، د . ت .
- ٢٥- وظيفة الألب للدكتور محمد النويهى ، مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .